ظاهـــرة التـــرادف فـــي كتـــب التفســـير
(تفســـير كفايـــة ضعفـــاء الســـودان نموذجـــاً)

أ. عبد الباسط إمام ثاني[1]

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى تتبع آراء اللغويين القدامى والمحدثين حول الترادف والتدرج به من بطون كتب التفسير وعلى الخاصة تفسير كفاية ضعفاء السودان للشيخ عبد الله بن فودي.

واعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي. وخلصت هذه الدراسة بالخاتمة التي تحتوي على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ثم قائمة المصادر والمراجع.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فقد اختلف اللغويون القدامى والمحدثون في وقوع هذه الظاهرة اختلافاً كبيراً، واعترف به فريق وأنكره فريق آخر، أما الذين اعترفوا به قد بالغ بعضهم في جمع تلك الألفاظ وحشد منها طائفة كبيرة لا تمت إلى المترادف الحقيقي بصلة.

والقضية أكثر تشعبا عند المحدثين، وأشد إثارة للجدل لارتباطها من ناحية بتعريف المعنى، ومن ناحية أخرى بنوع المعنى المقصود، وإن كنا نجد هذه المرة محاولات صادقة عند من أثبتوا الترادف لتعريفه وتقسيمه وتوضيحه توضيحا تاما، لأن المحدثين من علماء اللغات يجمعون على إمكان وقوع الترادف في أي لغة من لغات البشر، بل إن الواقع المشاهد أن كل لغة تشتمل على بعض تلك الكلمات المترادفة، ولكنهم يشترطون شروطاً معينة، لا بد من تحققها حتى يمكن أن يقال إن بين الكلمتين ترادفاً.

١- أستاذ/ في قسم اللغة العربية بجامعة القلم ولاية كشنا - نيجيريا.

وبعون الله وفضله هذه الدراسة ستتبع آراء اللغويين القدامى والمحدثين حول هذه الظاهرة اللغوية.

وقد اشتملت الدراسة على هذه النقاط التالية:

المبحث الأول : توطئة عن المؤلف– نبذة من تاريخ المؤلف.

المبحث الثاني : االترادف تعريفه ودلالته.

المبحث الثالث: الترادف عند اللغويين القدامى والمحدثين.

المبحث الرابع: الترادف ومعانيه الدلالية في تفسير كفاية ضعفاء السودان .

وفي الختام توصلت الدراسة إلى أهم نتائج البحث والتوصيات.

المبحث الأول

نبذة وجيزة عن المؤلف

أولا: التعريف بالمؤلف:

هو أبو محمد، ويقال أبو الحسن، عبد الله بن محمد الملقب بفودي ومعناه: (الفقيه) باللغة الفلانية ابن عثمان، بن صالح بن هارون، بن محمد الملقب (غورط)، بن جب، بن محمد ثنب، بن أيوب، بن ماسران، بن بوب باب، بن موسى جكل[1].

وأمه هي : حواء بنت محمد بن عثمان، بن حم، بن عال، بن جب بن محمد ثنب، بن ماسران بن بوب، بن موسى جكل، ويلتقي مع أمه في الخامس له والرابع لها[2].

ثانياً: مولده :

ولد الشيخ عبد الله بن فودي في إمارة غوبر شمال غرب نيجيريا سنة ألف ومائة وتسعة وسبعين هجرية، (١١٧٩ه ١٧٦٥م، وتوفي سنة (١٢٤٥هـ-١٨٢٩م)[3].

ثالثاً: نشأته- تعلمه وشيوخه:

نشأ الشيخ عبد الله بن فودي في بيت معروف بالعلم والصلاح، ذاعت فيه التقوى والورع كابراً عن كابر، فتربى في بيئة متعلمة ومتدينة، تلتزم بأوامر الله

١- الإسلام في نيجيريا، آدم عبد الله إلورن، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ه - ٢٠١٢م، ص ١٠٨.

٢- تزيين الورقات، الشيخ عبد الله بن فودي، بدون سنة الطباعة،ص : ١٩. ٢٠.

٣- انظر ضياء التأقيل في معاني التنزيل، الشيخ عبد الله بن فودي، بدون سنة الطباعة، الجزء الأول، ١٣٨٠ه. ١٩٦١م، ص٣.

وتتمسك بدينه، فهو عالم كبير قوي قويم، عاش وترعرع وسط المهتمين بالتربية الاسلامية منذ نعومة أظفاره .

فقد قرأ القرآن الكريم على أبيه، ثم انتقل إلى أخيه الأكبر الشيخ عثمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة فقرأ عليه (العشرينيات والوتريات)[١] والشعراء الستة وأخذ منه علم التوحيد والإعراب وعلم التصوف والفقه والتفسير.[٢] وارتحل لطلب العلم وتحصيله إلى البلدان المجاورة والقاصية، ولم يتوقف الشيخ عبد الله عند هذا الحد بل كان يكتب إلى الشيوخ والعلماء في بلاد السودان الغربي يطلب منهم مؤلفاتهم وكتبهم المفضلة، وكان دؤوبا على العلم وتحصيله[٣].

وقد ترك لنا الشيخ عبد الله بن فودي مؤلفات كثيرة التي بلغت أكثر من مائة وسبعين مؤلفا في مختلف الفنون الإسلامية، والعربية، وفي كل فن له كتاب شامل، وألف في التفسير وفنونه، وفي الفقه الإسلامي وأصوله والسياسة الشرعية، وفي اللغة العربية والتاريخ.

المبحث الثاني
الترادف تعريفه ودلالته

أولا: الترادف لغة:

لا شك أن كلمة الترادف في اللغة تأتي لمعان عديدة لكنها تكاد تدور في فلك واحد، يقول الفيروز آبادي[٤] : " والردف بالكسر الراكب خلف الراكب كالمرتدف والرديف والردافي كحبارى، وكل ما تبع شيئا وكوكب قريب من النسر الواقع وجيل والليل والنهار

١- هما كتابان مشهوران في تعليم اللغة العربية في نيجيريا وكلاهما نظم شعر.

٢- حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، الأستاذ الدكتور شيخو أحمد سعيد غلادنثي، دار المعارف، القاهرة، بدون سنة الطباعة، ص ٧٢.

٣- المرجع السابق، ص ٧٣.

٤- ١هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروز آبادي الملقب جمال الدين، ولد في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة بفيروز أباد، وسكن بغداد وتفقه على جماعة من الأعيان منهم عبد الوهاب بن محمد بن أمين وغيره، وصنف البيضاوي التصانيف المباركة المفيدة منها المهذب في المهذب وتفسيره المشهور أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، وتوفي البيضاوي ليلة الأحد الحادي والعشرين من جمادى الأخرة سنة ست وسبعين وأربع مائة ببغداد، انظر وفيات الأعيان، الجزء الأول، ص ٢٩ .

وهما ردفان وجليس الملك عن يمينه يشرب بعده ويخلفه إذا غزا، وفي الشعر حرف ساكن من حروف المد واللين يقع قبل حرف الروي ليس بينهما شيء"...[١]

وإلى هذا المعنى ذاته يشير المعجم الوسيط محددا الوضع اللغوي للفظ "ردف" قيقول : ردفه ركب خلفه وتبعه وردفه أمر دهمه، ويقال ردف له أمر دهمه وفي التنزل العزيز: ﴿قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (النمل: ٧٢)، وأردف : توالى وتتابع وفي التنزيل العزيز : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال: ٩).

ثانيا: الترادف في الاصطلاح:

وأما الترادف في الاصطلاح فقد نقل السيوطي[٢] عن الإمام فخر الدين الرازي[٣] تعريفه للمترادف بأنه الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد، وقال واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحد فليسا مترادفين وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم فإنهما دالا على شيء واحد لكن باعتبارين أحدهما على الذات والآخر على الصفة[٤].

وأشار إلى ظاهرة الترادف ابن جني تحت اسم تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني، وقال:" أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه، ومثل لها بالخليقة والسجية والطبيعة والغريزة والسليقة[٥].

ومن أمثلة الترادف قولهم في أسماء السيف : الرداء والخليل والقضيب والصفيحة والمغفرات والعضب والحسام والمذكر والمهند والأبيض إلخ ...

١- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، شركة القدس للنشر والتوزيع، سنة١٤٣٠ه/٢٠٠٩م، ص ٨٢٤.

٢- هو عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، عالم موسوعي في الحديث والتفسير واللغة والترويخ والفقه، ولد في القاهرة، سنة ٨٤٩ه، ونشأ فيها، وذكر له من المؤلفات نحو ستمائة مؤلفة، وتوفي بالقاهرة سنة ٩١١ه، انظر الموسوعة العربية العالمية.

٣- هو الإمام فخر الدين الرازي العلامة أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي المفسر المتكلم صاحب التصانيف المشهورة ومن مصنفاته، التفسير المشهور بمفاتيح الغيب، ولد سنة أربع وأربعين وخمس مئة للهجرة ، وتوفي سنة ٦٠٦ للهجرة، انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المجلد الثالث، ص ٢١.

٤- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، بدون سنة الطباعة، ج١،٢٠١٠، ص ٣٣١.

٥- الخصائص لابن جني، حققه : محمد علي النجار الأستاذ بكلية اللغة العربية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بدون سنة الطباعة،ج٢ ص٧٤.

وقولهم في أسماء العسل: الضرب والشوب والورس، والدستفشار والمستفشار، والشهد والجنى والسلافة، والرحيق إلخ...[١]

المبحث الثاني

الترادف عند اللغويين القدامى والمحدثين

أولا : الترادف عند اللغويين القدامى:

فمنذ أن بدأ الرعيل الأول من هؤلاء اللغويين في القرنين الثاني والثالث الهجريين في جمع اللغة العربية من أفواه فصحاء العرب وتفريغ ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والخطب والرسائل حتى نهاية العصر الأموي، والبحث عن معانيها وتفسيرها من جانب آخر، أخذ العلماء في تصنيف هذه المادة اللغوية في أنماط شتى، ويجمعوا الكلمات التي تدل على معنى واحد في العربية في تأليف مستقل سموه أحيانا بالمترادف وأحيانا أخرى باسم ما اختلف ألفاظه واتفقت معانيه[٢].

ويبدو أن من أقدم الكتب العربية التي حملت اسم الترادف كان كتاب أبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤) وعنوانه كتاب الألفاظ المترادفة والمتقاربة في المعنى، كما يبدو أن من أقدم من أطلقوا اسم الترادف على هذه الظاهرة أبو الحسن أحمد بن فارس في كتابه الصاحبي.

وقد اختلف اللغويون القدامى في وقوع هذه الظاهرة اختلافا كبيراً، فقد اعترف به فريق وأنكره فريق آخر.

أما الذين اعترفوا به قد بالغ بعضهم في جمع تلك الألفاظ وحشد بينها[٣] طائفة كبيرة لا تمد إلى المترادف الحقيقي بصلة، وكان فخر أحدهم على زميله أنه يحفظ لهذا الشيء أو ذاك كذا وكذا اسما، فقد روى ابن فارس أن هارون الرشيد سأل الأصمعي عن شعر لابن حزام العلكي، ففسره فقال يا أصمعي إن الغريب

١- المرجع السابق، ص ٢٩٨.
٢- فصول في فقه اللغة، الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٣١٠.
٣- جمع طائفة كبيرة.

عندك لغير غريب قال : يا أمير المؤمنين ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسماً[١].

ويروي أصحاب الترادف قصصا وأحاديثا للبرهنة على رأيهم، فمن ذلك ما رواه من أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد وقعت من يده السكين، فقال لأبي هريرة : " ناولني السكين، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة، ثم قال بعد أن كرر الرسول له القول ثانية وثالثة : آلمدية تريد فقال له الرسول : نعم ويروي أن ابن خالويه يفتخر بأنه يحفظ للسيف خمسين اسما كما ألف في أسماء الأسد وآخر في أسماء الحية، وقد جمع في الأول خمسمئة اسم وفي الثاني مئتي اسم[٢].

كما روى أيضاً ابن فارس عن شيخه أحمد بن محمد بن بندار أنه قال: "سمعت أبا عبد الله بن خالويه الهمذاني، يقول: للأسد خمسمئة اسم وللحية مائتان.[٣] ومما يثبت الترادف ما نقله ابن فارس عن مثبتي الترادف وهو قولهم لو كان لكل لفظة معنى غير الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته، وذلك لأنا نقول في : لا ريب فيه: لا شك فيه فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة خطأ[٤].

وهكذا أصحاب هذا الفريق أثبتوا وجود هذه الظاهرة واحتجوا لوجودها بأن جميع أهل اللغة إذا أرادوا أن يفسروا اللب قالوا هو العقل، أو الجرح قالوا هو الكسب، أو السكب قالوا: هو الصب، وهذا يدل على أن اللب والعقل عندهم سواء، وكذلك الجرح والكسب، والسكب والصب، وما أشبه ذلك[٥].

ومن المثبتين لهذه الظاهرة كذلك الفيروز آبادي الذي ألف كتابه بعنوان : " الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف "، كما ألف كتابا في أسماء العسل[٦].

ومنهم الفخر الرازي الذي يقول : ومن الناس من أنكره وزعم أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات إما لأن أحدهما اسم الذات والآخر اسم الصفة أو

١- علم الدلالة، دكتور أحمد مختار عمر ص ٢١١ ـ ٢١٣.
٢- علم الدلالة، دكتور أحمد مختار عمر، ص ٢١٧.
٣- المرجع السابق، ص ٤٣.
٤- المرجع السابق، ص٩٧.
٥- علم الدلالة، دكتور أحمد مختار عمر ص ٢١١ ـ ٢١٣.
٦- المرجع السابق، ص ٢١٧.

صفة الصفة ... والكلام معهم إما في الجواز ولا شك فيه أو في الوقوع إما في لغتين، وهو أيضا معلوم بالضرورة أو من لغة واحدة كالحنطة والبر والقمح ... وتعسفات الاشتقاقيين لايشهد لها شبهة فضلا عن حجة"[١].

وقد أدت مبالغة هؤلاء العلماء وغيرهم في الاعتداء بهذه الظاهرة إلى ظهور طائفة أخرى من العلماء تعارض هذا الاتجاه، وترفض ظاهرة الترادف في العربية رفضا تاما، ومن هؤلاء أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي (المتوفى سنة٣٧٧هـ)، وأبو الحسن أحمد بن فارس (المتوفى سنة ٣٩٥هـ) وغيرهم في هذه الظاهرة[٢].

قال أبو علي الفارسي[٣]: " كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه: فقال ابن خالويه[٤]: أحفظ للسيف خمسين اسما فتبسم أبو علي وقال: ما أحفظ إلااسما واحدا، وهو السيف : قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا فقال أبو علي : هذه صفات، وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة"[٥].

كما يقول ابن فارس[٦]: "ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: السيف والمهند والحسام والذي نقول في هذا : إن الاسم واحد هو السيف وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى، وقد خالف في ذلك قوم، فزعموا أنها – وإن اختلفت ألفاظها – فإنها ترجع إلى معنى واحد، وذلك قولنا : سيف وعضب وحسام.

١- المزهر في علوم اللغة، السيوطي، ج١ ص٣٣١.
٢- فصول في فقه اللغة، دكتور رمضان عبد التواب، ص ٣١١.
٣- هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي، فإنه كان من أكابر أئمة النحويين، أخذ عن أبي بكر بن السراج، وأبي إسحاق الزجاج، وعلت منزلته في النحو حتى فضله كثير من النحويين على أبي العباس المبرد، وأخذ عنه جماعة من حذاق النحويين، كأبي الفتح ابن جني وعلي بن عيسى الربعي وأبي الحسن الزعفراني وغيرهم، وصنف كتبا كثيرة حسنة لم يسبق إلى مثلها منها كتاب الإيضاح في النحو، وكتاب الحجة في علل القرآن السبع، وكتاب المقصور والممدود إلى غير ذلك من الكتب، وتوفي أبو علي الفارسي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، وذلك في خلافة الطائع لله تعالى. انظر نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.
٤- هو عبد الله بن خالويه، فإنه كان من أكابر أهل اللغة، أخذ عن أبي بكر ابن دريد، وأبي عيد الله نفطويه، وعن أبي بكر الأنباري، وعن أبي عمر الزاهد، وقد صنف كتبا كثيرة في اللغة وغيرها، منها كتاب ليس وهوكتاب نفيس في اللغة، وشرح المقصورة لابن دريد، وكتاب في أسماء الأسد، وذكر فيه حمسمئة اسم، وله كتاب البديع في القرآن، وله كتاب في إعراب سور القرآن، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .
٥- المزهر في علوم اللغة وفنونها، السيوطي، ج١، ص٣٣٣.
٦- هو أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، كان إماما في علوم شتى وخصوصا اللغة، فإنه أتقنها، وألف كتابه المجمل في اللغة، وله رسائل أنيقة ومسائل في اللغة، توفي سنة تسعين وثلاث مئة رحمة الل تعالى بالري، ودفن مقابل مشهد القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني . انظر وفيات الأعيان ، ج (١) ص (١)(١)٨،ابن خلكان .

وقال آخرون : ليس منها اسم ولا صفة إلا معناه غير معنى الآخر، قالوا: وكذلك الأفعال نحو مضى وذهب وانطلق وقعد وجلس ورقد ونام وهجع قالوا ففي قعد معنى ليس في جلس، وكذلك القول فيما سواه، وبهذا نقول وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب[١].

وممن أنكروا الترادف أو وجود هذه الظاهرة ابن السراج[٢] وابن يعيش[٣]، ويقول ابن يعيش : " ويحكى عن أحمد بن يحيى إنكار ذلك ومنع جوازه، ويزعم أن في كل لفظ زيادة معنى ليس في الآخر ففي ذهب معنى ليس في مضى وكذلك باقي الباب[٤].

ويقول ابن الأعرابي[٥]: " كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، في كل واحد منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله.

وبعض هؤلاء الذين أنكروا الترادف كانوا من الأدباء النقاد الذين يستشفون في الكلمات أمورا سحرية ويتخيلون في معانيها أشياء لا يراها غيرهم فهم قوم شديدو الاعتزاز بألفاظ اللغة ويتبنون الكلمات ويرعونها رعاية كبيرة ينقبون عما وراء المدلولات سابحين في عالم من الخيال، يصور لهم من دقائق المعاني وظلالها ما لا يدركه إلا هم، ولا يقف عليه إلا أمثالهم.

١- الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، مكتبة مشكاة الإسلامية، بدون سنة الطباعة، ص ٤٠.

٢- هو أبوبكر محمد بن السري المعروف بابن السراج، فإنه كان أحد العلماء المذكورين، وأئمة النحو المشهورين، أخذ عن أبي العباس المبرد، وإليه انتهت الرياسة في النحو بعد المبرد، وأخذ عنه أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، وأبو سعيد السيرافي، وأبو علي الفارسي، وعلي بن عيسى الرماني، وله مصنفات حسنة، وأحسنها وأكبرها كتاب الأصول، فإنه جمع فيه أصول العربية، وأخذ مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب، وتوفي أبوبكر بن السراج سنة ست عشرة وثلثمائة للهجرة في خلافة المقتدر بالله تعالى، انظر نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص ٢٢٠.

٣- هو أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا موفي الدين الأسدي، من كبار العلماء بالعربية، ولد في حلب عام٥٥٣ه، وكان ابن يعيش فاضلا ماهرا في النحو والتصريف، وتوفي في حلب سنة ٦٤٣هـ.

٤- فصول في فقه اللغة، دكتور رمضان عبد التواب، ص ٣١٢.

٥- هو أبو عبد الله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي، فإنه كان مولى لبني هاشم، وكان من أكابر أئمة اللغة لمشار إليهم في معرفتها، ويقال: لم يكن للكوفيين أشبه برواية البصريين من ابن الأعرابي، وكان عالما ثقة، وكان ربيبا للمفضل الضبي، وسمع منه الدواوين وصححها، وأخذ عن الكسائي كتاب النوادر، وأخذ عن أبي معاوية الضرير، وأخذ عنه أبو العباس أحمد بن أحمد ابن يحيى ثعلب، وأبو عكرمة الضبي، وبراهيم الحربي، وتوفي ابن الأعرابي سنة اثنتين وثلاثين ومائتان للهجرة، وبلغ من السن على ما يقال ثمانين سنة أو إحدى وثمانين. انظر نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص ١٣٤.

ومن هؤلاء الأدباء أبو هلال العسكري[١] الذي ألف كتابه: (الفروق اللغوية) لإبطال الترادف وإثبات الفروق بين الألفاظ التي يدعي ترادفها، وقد بدأ كتابه بعنوان: (باب في الإبانة عن كون اختلاف العبارات والأسماء موجبا لاختلاف المعني في كل لغة، قال فيه: " والشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف فالإشارة إليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيهابما لا يفيد، فإن أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صوابا، فهذا يدل على أن كل اسمين يجريان على معنى من المعاني، وعين من الأعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر وإلا لكان الثاني فضلا لا يحتاج إليه ... وكما لايجوز أن يكون اللفظان يدلان على معنى واحد لأن في ذلك تكثير اللغة بما لا فائدة فيه[٢].

وقد أحس العسكري وطائفة من اللغويين يخالفون إجماع القوم على القول بالترادف في العربية، ولذلك يقول: ولعل قائلا يقول : إن امتناعه من أن يكون للفظين المختلفين معنى واحد رد على جميع أهل اللغة، لأنهم إذا أرادوا أن يفسروا اللب قالوا: هو العقل أو الجرح، قالوا : هو الكسب أوالسكب قالوا: هو الصب وما أشبه ذلك قلنا ونحن أيضا نقول كذلك إلا أنا نذهب إلى أن قولنا: اللب وإن كان هو العقل فإنه يفيد خلاف ما يفيد قولنا: العقل[٣].

ولعلنا نوضح هذا المذهب إذا ضربنا بعض الأمثلة من كتابه: يقول العسكري في الفرق بين المدح والتقريظ، إن المدح يكون للحي والميت والتقريظ لا يكون إلا للحي وخلافه التأبين لا يكون إلا للميت، وأصل التقريظ من القرظ وهو شيء يدبغ به الأديم، وإذا دبغ به حسن وصلح وزادت قيمته، فشبه مدحك للإنسان الحي بذلك

١- هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد أبو هلال العسكري، الشاعر الناثر الأديب الفقيه، ووصفه عارفوه بالعلم والفقه معا، وكان الغالب عليه الأدب والشعر، وتوفي يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة حمس وتسعين وثلاث مائة، ومن كتبه كتاب الفروق اللغوية الذي ذكره بروكلمان في موسوعته بين مؤلفاته ورسائله التي جاوزت العشرين، انظر ترجمته في مقدمة كتابه الفروق اللغوية صفحة ١٠.١١.

٢- في اللهجات العربية، دكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، الطبعة الثالثة،٢٠٠٢م ص ١٣.

٣- فصول في فقه اللغة، دكتور رمضان عبد التواب، ص ٣١٤.

كأنك تزيد من قيمته بمدحك إياه، ولا يصلح هذا المعنى في الميت ولهذا يقال مدح الله ولا يقال: قرظه[١].

ثانياً: الترادف عند اللغويين المحدثين:

وإذا انتقلنا إلى علماء اللغة المحدثين نجد بينهم نفس الخلاف الذي حدث بين القدماء، وإن كنا نجد هذه المرة محاولات صادقة عند من أثبتوا الترادف لتعريفه وتقسيمه وتوضيحه توضيحاً تاماً.

ويعرف بعض المحدثين المترادفات بأنها "ألفاظ متحدة المعنى قابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق".

وهم يرون أن الترادف التام رغم عدم استحالته نادر الوقوع إلى درجة كبيرة فهو نوع من الكماليات التي لا تستطيع اللغة أن توجد بها في سهولة ويسر، فإذا وقع هذا الترادف التام فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محددة حيث إن الغموض الذي يعتري المدلول والألوان أو الظلال المعنوية ذات الصبغة العاطفية أو الانفعالية التي تحيط بهذا المدلول لا تلبث أن تعمل على تحطيمه وتفويضأركانه وكذلك سرعان ما تظهر بالتدريج فروق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة بحيث يصبح كل لفظ منها مناسبا وملائما للتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد[٢].

ولا نستغرب بعد ذلك أن نجد بعض علماء اللغة في الغرب يرفضون الاعتراف بالترادف لأنهم يرون الألفاظ إذا اختلفت أصواتها وجب أن تختلف معانيها[٣]. كما روى عن المازنى انه قال سمعت ابا سوار يقرا واذا قتلتم نسمة فادارتم فيها، فقلت له كيف تقرأ؟ فقال: النسمة والنفس بمعني واحد.

فقد رأى علي الجارم في بحث قدمه إلى المجمع اللغوي بالقاهرة سنة ١٩٣٥ أن الترادف موجود، ولا سبيل لإنكاره، ولكن لا تجوز المبالغة في ذلك، لأن بعض

١- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، بدون سنة الطباعة، ص ٥١.
٢- فقه اللغة مناهله ومسائله، الدكتور محمد أسعد النادري،المكتبة العصرية سيدا بيروت لبنان، ١٤٣٣ه/٢٠١٢م، ص ٢٩٨ . ٢٩٩.
٣- المرجع السابق، ص ٢٩٩.

ما يظن أنها مترادفات إنما هي صفات[1].

وأشار الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن المحدثين من علماء اللغات يجمعون على إمكان وقوع الترادف في أي لغة من لغات البشر، بل إن الواقع المشاهد أن كل لغة تشتمل على بعض تلك الكلمات المترادفة، ولكنهم يشترطون شروطا معينة، لا بد من تحققها حتى يمكن أن يقال إن بين الكلمتين ترادفاً.

وقال الدكتور رمضان عبد التواب: " ورغم ما يوجد بين لفظة مترادفة وأخرى، من فروق أحيانا، فإننا لا يصح أن ننكر الترادف، مع من أنكره من الجملة، فإن إحساس الناطقين باللغة، كان يعامل هذه الألفاظ معاملة المترادف، فنراهم يفسرون اللفظة منها بالأخرى، كما روى عن أبي زيد الأنصاري أنه قال: " قلت لأعرابي: ما المبنطئ؟ قال: المتكأكئ، قال : قلت: ما المتكأكئ؟ فقال: المتآزف. قال: قلت: ما المتآزف؟ قال: أنت أحمق؟"[2].

ومن المؤيدين لهذه الظاهرة الدكتور صبحي الصالح في إقراره بوجود الترادف في القرآن الكريم، لأنه وقد نزل بلغة قريش المثالية يجري على أساليبها وطرق تعبيرها، وقد أتاح لهذه اللغة طول احتكاكها باللهجات العربية الأخرى اقتباس مفردات تملك أحيانا نظائرها، ولا تملك منها شيئا، أحيانا أخرى، حتى إذا أصبحت جزءا من محصولها اللغوي فلا غضاضة[3] أن يستعمل القرآن الألفاظ الجديدة المقتبسة إلى جانب الألفاظ القرشية الخالصة القديمة، وبهذا نفسر ترادف " أقسم" و"حلف" في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا﴾ (النور: ٥٣)، وقوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ (التوبة: ٧٤). وترادف "بعث" و" أرسل" في قوله : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: ١٥)، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وترادف " فضل" و " آثر" في قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (البقرة: ٢٥٣)، وقوله: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (يوسف: ٩١)، فقريش كانت تستعمل في بيئتها اللغوية

١- فصول في فقه اللغة العربية.
٢- فصول في فقه اللغة، دكتور رمضان عبد التواب، ص ٣١٦.
٣- غرابة.

الخاصة أحد اللفظين في هذه الأمثلة الثلاثة، وإنما اكتسبت اللفظ الآخر من احتكاكها بلهجة أخرى لها بيئتها اللغوية المستقلة[١].

وواضح هنا أن الدكتور صبحي الصالح وغيره من علماء المحدثين اعترفوا بوجود الترادف، وأكد أن هذه الظاهرة موجودة في القرآن الكريم الذي نزل بهذه اللغة، والذي نطق به الرسول (صلى الله عليه وسلم) للمرة الأولى.

ويقول Blomfiel [٢]: "إننا ندعي أن كل كلمة من كلمات الترادف تؤدي معنى ثابتا مختلفا عن الأخرى وما دامت الكلمات مختلفة صوتيا فلا بد أن تكون معانيها مختلفة كذلك وعلى هذا فنحن – في اختصار – نرى أنه لا يوجد ترادف حقيقي"[٣].

وواضح أن اللغويين المعاصرين اتفقوا على وجود كثير من الترادف، لكنهم اختلفوا في وجود الترادف الكامل أو التماثل، فهم يرون من الصعب أن يوجد هذا النوع من الترادف في أي لغة من اللغات، وقسموا الترادف إلى أنواع مختلفة من الترادف وأشباه الترادف[٤]: إلى وقوع الترادف في أي لغة من اللغات إذا تحققت الكلمة شروطا معينة كما اشترطة اللغويون المحدثون،لأن جميع هذه المحاولات لإبطال الترادف عند اللغويين القدامى لا تخلو من التكلف والتعسف.

ثانياً: شروط الترادف عند المحدثين:

ولا شك أن المحدثين من علماء اللغات ذهبوا على إمكان وقوع الترادف في أي لغة من لغات البشر بل إن الواقع المشاهد أن كل لغة تشتمل على بعض هذه الكلمات المترادفة"[٥].

غير أن هؤلاء اللغويين يشترطون شروطا معينة إذا تحققت أمكننا القول بأن بين الكلمتين ترادفا، وفيما يلي نأتي بأهم هذه الشروط:

١- دراسات في فقه اللغة، الدكتور صبحي الصالح، دار العلم الملايين بيروت، الطبعةالأولى، ١٣٧٩ه/١٩٦٠م ص ٢٩٩.
٢- بلو مقيل.
٣- علم الدلاله الدكتور أحمد مختار عمر، ص٢٢٤.
٤- المرجع السابق، ص ٢٢١.
٥- في اللهجات العربية، دكتور إبراهيم أنيس، ص ١٥٩.

١- الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تماماً، فإذا تبين لنا بدليل قوي، أن العرب كان يفهم حقا من كلمة: جلس شيئا لا يستفيده من كلمة: "قعد" قلنا حينئذ ليس بينهما ترادف[١].

وقال الدكتور أحمد مختار عمر: "وهذا الاتفاق في المعنى بين الكلمتين يكون على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة، وليس الحكم في ذلك الأدباء ذوي الخيال الخصب، وإنما جمهور الناس ومتوسطوهم"[٢].

٢- **الاتحاد في البيئة اللغوية:** أي أن تكون الكلمتان تنتميان إلى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجات يجب إذا ألا نلمس الترادف من لهجات العرب المتباينة، فالترادف بمعناه الدقيق هو أن يكون للرجل الواحد في البيئة الواحدة الحرية في استعمال كلمتين أو أكثر في معنى واحد، ويختار هذه حينا ويختار ذلك حينا آخر، وفي كلتا الحالين لا يكاد يستشعر بفرق بينهما إلا بمقدار ما يسمح به مجال القول.

ولم يفطن المغالون في الترادف إلى مثل هذا الشرط بل عدوا كل اللهجات وحدة متماسكة وعدوا كل الجزيرة العربية بيئة واحدة، وتعد كل لهجة أو مجموعة منسجمة من اللهجات بيئة واحدة[٣].

٣- **الاتحاد في العصر:** فالمحدثون حين ينظرون إلى المترادفات ينظرون إليها في عهد خاص وزمن معين، وتلك هي النظرة التي يعبرون عنها بكلمة: (ساكرونك)، لا تلك النظرة التاريخية التي تتبع الكلمات المستعملة في عصور مختلفة، ثم تتخذ منها مترادفات، وهذه النظرة الأخيرة هي التي يسمونها: (دياكرونك)، فإذا بحثنا عن الترادف يجب ألا نلتمسه في شعر شاعر من الجاهليين، ثم نقيس كلماته بكلمات وردت في نقش قديم يرجع إلى العهود المسيحية مثلا: هذا هو ما جعل ابن خالويه وأمثاله يرون للسيف ونحوه أسماء عدة، فالمتنبي حين استعمل الصارم والبتار والهندي واليماني، لم يكن يعمد إلى كلمة الهندي،

١- فصول في فقه اللغة، الدكتور رمضان عبد التواب،ص٣٢٢.
٢- علم الدلالة، دكتور أحمد مختار عمر، ص ٢٢٧.
٣- في اللهجات العربية، دكتور إبراهيم أنيس، ص ١٥٥.

وفي ذهنه صفات خاصة تتصل ببيئة الهند التي صنع فيها، ولم يكن يعمد إلى كلمة الصارم، وفي ذهنه اعتبار آخر لا يراه في كلمة أخرى كالبتار[١].

٤- ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتي للفظ آخر، فحين نقارن بين : "الجثل" و "الجفل" بمعنى النمل، نلحظ أن إحدى الكلمتين يمكن أن تعد أصلا، والأخرى تطور لها، فإذا كان الأصل هنا هو الكلمة الأولى، قلنا إن "الجفل صيغة حضرية نشأت في بيئة تراعي خفوت الصوت والتقليل من وضوحه، أما إذا كانت الثانية هي الأصل، رجحنا أن "الجثل" قد نشأت في بيئة بدوية تميل إلى الأصوات الأكثر وضوحا في السمع، فالجثل والجفل ليست في الحقيقة إلا كلمة واحدة، وهذا يتبن لنا مغالاة أولئك الذين اعتبروا مثل هذه الكلمات من المترادفات[٢].

ومن أمثلة الترادف التى اوردها القرآن والتي حققت الشروط آثر وفضل حضر وجاء بعث وأرسل، والاستعمال :

فقد قال تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (يوسف: ٩١)، وقال: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ٤٦)، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (النساء: ١٨).

وقال أيضا : ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (المؤمنون: ٩٩)، كما قال : "بعث فيهم رسولا"، وقال : "فأرسلنا فيهم رسولا"[٣].

على أية حال، وكيفما كان نشوء هذا القدر الكبير من المترادفات في اللغة العربية، فقد أفادت هذه الظاهرة في التوسع في سلوك طرق الفصاحة وأساليب البلاغة من النظم والنثر، وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتى باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع وغير ذلك من أصناف البديع، ولا يتأتى ذلك إلا باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ[٤].

١- المرجع السابق، ص ١٥٥.
٢- في اللهجات العربية، دكتور إبراهيم أنيس، ص ١٥٥ ـ ١٥٦.
٣- في اللهجات العربية، دكتور إبراهيم أنيس، ص ١٥٦ .
٤- المزهر في علوم اللغة وفنونها، السيوطي، ج١ ص٣٣٤ .

وبهذه الجدية لمناقشة اراء اللغويين القدامى والمحدثينيرى الباحث ان الترادف موجود في القرآن الكريم وفي اللغة العربية.

المبحث الرابع

الترادف ومعانيه العالمية في تفسير كفاية ضعفاء السودان

ومن اطلع على تفسير كفاية ضعفاء السودان سيرى أن صاحب التفسير من مؤيدي هذه الظاهرة اللغوية في القرآن، لأنه استخدم كثيرا من المترادفات في إيضاح وبيان بعض المفردات في تفسيره، وهنا سنستعرض بعض النماذج الواردة من هذه الألفاظ للتأكيد على وجود الترادف في هذا التفسير، ولنتأكد أيضا على محاولة المفسرين في استخراج معاني مفردات القرآن:

١- الرواسي الجبال:

من صور الترادف في القرآن عموما وفي التفسير خصوصا ذلك الترادف بين الرواسي والجبال فكلاهما بدلالة واحدة، وهي: هذا العنصر الطبيعي الضخم المرتفع عالياً بشموخ في السماء، أو هو ما علا من سطح الأرض واستطال وجاوز التل ارتفاعاً، وجمعه أجبل وجبال وأجبال، ويقال: فلان : جبل: ثابت لا يتزحزح، وسيد القوم والعالم، غير أن في "الرواسي" عنصر دلاليا إضافيا على "الجبال"، وفي الجبال عنصر دلالي إضافي على "الرواسي"، فالرواسي جمع راسية، وأصلها من الفعل، "رسا" الذي مضارعه يرسو ويراد بها الثابت، يقال في اللغة : "رسا الجبل يرسو: إذا ثبت أصله في الأرض، ومثل قولهم: "رسا الشيء يرسو رسوا وأرسى: ثبت والرواسي من الجبال الثوابت الرواسخ[1].

وقد وردت لفظة "رواسي" في القرآن الكريم في عشرة مواضع حاملة دلالة : الجبال الثوابت مختلفة صيغتها منها: "قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد: ٣).

١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية،سنة ١٤٢٥ه/٢٠٠٤م، ص ١٢٦، المرجع السابق.

فالرواسي جمع مفردة راسية، وبالعودة دائما إلى التفسير للوقوف على معنى هذه الآية،قال صاحب التفسير: " وهو الذي مد الأرض بسطها طولا وعرضا ليثبت عليها الأقدام ويتقلب فيها الحيوان وجعل خلق فيها رواسي جبالا ثوابت وشوامخ وأنهارا جارية ضمها مع الجبال لأنها أسباب لتولدها"[١].

وفي تفسير الجلالين: " وجعل فيها رواسي قال: " خلق فيها رواسي جبالا ثوابت"[٢].

وتتمثل العلاقة الدلالية بين الجبال والرواسي في أن القرآن قد يستغني بلفظ الرواسي عن الجبال، وذلك لتماثلها في الماهية، لأن صيغة الرسو التي تبدو واضحة فيها لما تحمله من نفس الدلالة.

وقال ابن الجوزي: " وهو الذي مد الأرض" قال ابن عباس : بسطها على الماء، وجعل فيها رواسي قال الزجاج: أي جبالا ثوابت، يقال : رسا يرسو رسوا، فهو راس إذا ثبت[٣].

وقال ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: " وهو الذي مد الأرض ... " والمعنى خلق الأرض ممدودة متسعة للسير والزرع، لأنه لو خلقها أسنمة من حجر أو جبالا شاهقة متلاصقة لما تيسر للأحياء التي عليها الانتفاع بها والسير من مكان إلى آخر في طلب الرزق وغيره... و"الرواسي" : جمع راس وهو الثابت المستقر أي جبالا رواسي، وقد حذف موصوفه لظهوره فهو كقوله: " وله الجواري" أي السفن الجارية.

وجيء في جمع راس بوزن فواعل لأن الموصوف به غير عاقل ووزن فواعل يطرد فيها مفردة صفة لغير عاقل مثل : صآهل وبازل.

والاستدلال بخلق الجبال على عظيم القدرة لما في خلقها من العظمة المشاهدة بخلاف خلقه المعادن والتراب فهي خفية كما قال: "وإلى الجبال كيف نصبت"[٤].

١- كفاية ضعفاء السودان، الشيخ عبد الله بن فودي، دار الأمة كنو نيجيريا بدون سنة الطباعة، ج١، ص ٦٨٩، المرجع السابق.
٢- تفسير الجلالين، ص ٢٤٩، دار الكيان الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧ه / ٢٠٠٦م، ص ٢٤٩.
٣- زاد المسير في علم التفسير، الإمام أبي الفرج الجوزي، المكتب الإسلامي بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٧ه/ ١٩٨٧م،ج٤، ص ٣٠٢.
٤- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، دار التونسية، تونس، بدون سنة الطباعة، ج١٣، ص ٨٢.

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (النحل: ١٥)، قال صاحب التفسير: "وألقى في الأرض رواسي، جبالا ثوابت كراهة أن تميد تضطرب بكم لأنها خلقت على وجه الماء فلم تستقر فأرسى الجبال فاستقرت"(١).

وفي تفسير الجلالين: "وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم .. أي ألقى فيها رواسي جبالا مرتفعة لئلا تتحرك وتضطرب"(٢).

وقال ابن عاشور في بيانه لهذه الآية: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (النحل: ١٥): ورواسي جمع راس وهو وصف من الرسو بفتح الراء وسكون السين، ويقال بضم الراء والسين مشددة وتشديد الواو، وهو الثبات والتمكين في المكان، قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ (سبأ: ١٣)، ويطلق على الجبل راس بمنزلة الوصف الغالب وجمعه على زنة فواعل على خلاف القياس، وهو من النوادر مثل: عواذل وفوارس.

وقال صاحب التفسير محل الدراسة في تعليله لهذه الآية: ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النمل: ٦١)، أمن جعل الأرض "بعد ما خلقها قرارا مكانا يستقر فيه الحيوان لا يميد به وجعل خللها بينها أنهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا ثوابت كالأوتاد، وتتكون منها المعادن، وينبع من حضيضها المنابع فيكثر المنافع"(٣).

وواضح فيما تقدم أن الرواسي والجبال متحدان في الماهية لاشتراكهما في معنى واحد، فهما متماثلان ومتفقان دلاليا، وهذا تماما ما ذهب إليه عبد الله بن فودي كقرار غير مباشر بوقوع ظاهرة الترادف بين اللفظين، وإضافة على ذلك أن

١- كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، ج١، ص ٧٣٨.
٢- تفسير الجلالين، ص ٢٧٩ .
٣- كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٢١.

المفسرين ذهبوا واتفقوا على هذا المعنى كما سلف الذكر، وهذه دلالة واضحة على وجود الترادف في القرآن الكريم.

٢- الشك والريب:

وقد ورد في كتب اللغة والمعاجم ما يفيد بترادف هذين اللفظين منها ما ورد في المعجم الوسيط أن الشك في اللغة حالة نفسية يتردد معها الذهن بين الإثبات والنفي ويتوقف عن الحكم، وجمعه شكوك، الشكاك الكثير، وأما الريب هو الظن والشك والتهمة والحاجة وصرف الدهر، وريب المنون حوادث الدهر، والريبة الظن والشك والتهمة والجمع ريب[١].

ونقل الأزهري عن بعض علماء اللغة أن " الريبة والريب الشك، وقال الله عز وجل : " لا ريب فيه" معناه لا شك فيه[٢].

وذكر صاحب لسان العرب: الريب صرف الدهر، والريب والريبة الشك والظنة والتهمة والريبة بالكسر، والجمع ريب، والريب ما رابك من أمر، وقد رابني الأمر وأرابني وأربت الرجل جعلت فيه ريبة وربته أوصلت إليه، وهذيل تقول أرابني فلان وارتاب فيه أي شك[٣].

وعلى الرغم من كل هذه النصوص التي تشير إلى استعمال لفظتي الشك والريب بمعنى واحد إلا أن هناك عددا من اللغويين وجهوا اهتمامهم إلى إيضاح الفرق بين هاتين اللفظتين، وقد ورد في كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري الفرق بين الشك والارتياب أن الارتياب : شك مع تهمة، والشاهد أنك تقول : إني شاك اليوم في المطر، ولا يجوز أن تقول : إني مرتاب، وتقول إني مرتاب بفلان إذا شككت في أمره والتهمته[٤].

وبالرجوع إلى استعمال لفظتي الشك والريب في هذا التفسير نرى أن صاحب التفسير تناول هاتين الكلمتين على أنهما مترادفان وعلى سبيل المثال :

١- المعجم الوسيط، ص ٥١٦، و ص ٤٠٩.
٢- تهذيب اللغة، الأزهري، المكتبة الشاملة الإصدار الثاني، ج ٥، ص، ١٤٥.
٣- لسان العرب، ابن منظور المكتبة الشاملة الإصدار الثاني، ج ١، ص ٤٤.
٤- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص ٩٩.

قال عبد الله بن فودي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ (البقرة: ٢٣)، "وإن كنتم في ريب شك مما نزلنا على عبدنا محمد(صلى الله عليه وسلم) من القرآن أنه من عند الله فاتوا بسورة من مثله أي المنزل أي من مثله في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم والأخبار عن الغيب"(١).

وقد جاءت هذه المفردة في إجابة المؤمنين للمنافقين في قوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (الحديد: ١٤)، قال صاحب التفسير: "وارتبتم شككتم في دين الإسلام"(٢).

وقال أيضا في سورة الطلاق في بيانه لهذه المفردة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ (الطلاق: ٤)، إن ارتبتم "جهلتم وشككتم في عدتهن فعدتهن ثلاثة أشهر"(٣).

وإذا تأملنا ما سبق نرى أن المفسر دل على أن الريب هو الشك، وهذه إشارة إلى أنه مال إلى وجود الترادف بين هاتين اللفظتين بإقراره أن الريب هو الشك.

والمفسرون أيضا يكادون يجمعون على وجود الترادف بين هاتين المفردتين، كما ورد ذلك في كتب التفاسير.

وقد ذكر ابن عاشور في تفسير قوله تعالى : " ذلك الكتب لا ريب فيه" : " والريب الشك وأصل الريب القلق واضطراب النفس وريب الزمان، وريب المنون نوائب ذلك قال الله تعالى: " نتربص به ريب المنون، ولما كان الشك يلزمه اضطراب النفس وقلقها غلب عليه الريب فصار حقيقة عرفية يقال رابه الشيء إذا شككه أي بجعل ما أوجب الشك في حاله فهو متعد"(٤).

١- كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، ج١، ص ٩٧.
٢- كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، ج٢، ص ٥٩٨.
٣- كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، ج٢، ص ٦٤٨ .
٤- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١، ص ٢٢٢.

وقال الزمخشري[١] : " والريب مصدر رابني إذا حصل فيه الريبة وحقيقة الريبة: قلق النفس واضطرابها، ومنه ما روى الحسن بن علي قال: " سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الشك ريب، وإن الصدق طمأنية" أي كون الأمر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر، وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن، ومنه: ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه"[٢].

وواضح هنا أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) فسر الريب بالشك في هذا الحديث، وهذا دلالة واضحة على وجود الترادف بين هذين اللفظين.

وقال القرطبي: فكتاب الله تعالى لا شك فيه ولا ارتياب والمعنى : أنه من ذاته حق وأنه منزل من عند الله وصفة من صفاته غير مخلوق ولا محدث وإن وقع ريب للكفار"[٣].

وقال المراغي في تفسير : "لا ريب فيه" : والريبة : الشك وحقيقته قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لأنه يقلق النفس ويزيل منها الطمانينة، وقد جاء في الحديث " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الشك ريبة والصدق طمأنينة ".

والمعنى أن هذا الكتاب لا يقتربه ريب في كونه من عند الله ولا في هدايته وإرشاده ولا في أسلوبه وبلاغته، فلا يستطيع أحد أن يأتي بكلام يقترب منه بلاغة وفصاحة[٤]، وبعد هذه المناقشة من أقوال اللغويين والمفسرين نلاحظ أن كلمة " الريب ترادف الشك وتؤدي معناها وصاحب التفسيرذهب كما ذهب أكثر المفسرين إلى أن الريب هو الشك، وهذه دلالة واضحة على وجود الترادف بين هذين اللفظين في اللغة العربية وفي القرآن الكريم، وإن كان بعض المفسرين يضيف معنى أخرى لكلمة الريب كما أشار الإمام القرطبي في تفسيره.

١- هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، إمام كبير في الحديث والتفسير والنحو والبلاغة، ولد في زمخشر سنة ٤٦٧ه/ ١٠٧٤م، وكان الزمخشري معتزليا في الأصول العقيدة، وقد اشتهر الزمخشري في عصره ومدحه الشعراء والأدباء وطلب العلماء أن يعلمهم الإجازة في رواية كتبه، وتوفي الزمخشري ليلة عرفة سنة ٥٣٨ه/ ١١٤٣م، وقد ترك لنا آثارا كثيرة منها : تفسير الكشاف المشهور، انظر وفيات الأعيان.

٢- تفسير الكشاف، الزمخشري، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨/١٩٩٨م،ج١، ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

٣- تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٧م/٢٠٠٦م، ج١، ص ٢٤٥.٢٤٦.

٤- تفسير المراغي، مصطفى المراغي، مكتبة مصطفى البابي، الطبعة الأولى، سنة ١٣٦٥ه/١٩٤٨م، ج ١، ص ٤٠.

٣- خاشعة هامدة:

وصفت الأرض بكلا هذين الوصفين في القرأن الكريم، للتعبير بذلك عن الأرض الميتة قبل نزول الغيث، وقبل نفختها بالنبات المختلفة[١].

وبالرجوع إلى كتب اللغة نرى أن الهمود بالضم يعني : " الموت والهلاك، أي بلى وذهب. وهمد الثوب يهمد همودا، وذلك من طول الطي. تحسبه صحيحا، فإذا مسسته تَناثَرَ من البِلى. وهمد الثوب يهمد همدا: إذا بلى.والهمود: الموت؛ كما همدت ثمود، ورَماد هامد: قد تَلبَّد وتغير[٢].

وأما كلمة الخشوع تعني السكوت والإخضاع والتذلل، وقال جل وعز: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾ (طه: ١٠٨)، أي سكنت وكل ساكن خاضع خاشع. والتخشُّع لله: الإخبات والتذلل.

واذا يبست الأرض ولم تُمطَر قيل: قد خشَعت. قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج: ٥)، والعرب تقول: رأيت أرض بني فلان خاشعة هامدة ما فيها خِضراءُ[٣].

وفي المعجم الوسيط خشع : خشوعا : خضع وذل وخاف، وخفض صوته ورمى ببصره نحو الأرض وغضه، وفي التنزيل : ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً﴾ (طه: ١٠٨).

وذبل الأرض إذا يبست لعدم المطر، وفي التنزيل : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت: ٣٩).

وقد وصفت الأرض الجافة اليابسة الخالية من النبات بهذين اللفظين في القرآن الكريم مما يدل على وجود الترادف بينهما كما ورد ذلك في تفسير محل الدراسة، وذلك قوله تعالى : ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج: ٥).

١- قبل ان تنبت بالنبات المختلفة.
٢- تهذيب اللغة، الأزهري، ج ٢، ص ٣١٣.
٣- تهذيب اللغة، ج ١، ص ٣٤، ص ٣٤، المرجع السابق.

وصاحب التفسير لم يخرج عن هذا المعنى في تفسير هذه اللفظة حيث قال: " وترى الأرض هامدة يابسة لانبات بها، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بانبات وربت وارتفعت وزادت ...[1]"

فقد وصفت الآية هنا الأرض بالجفاف أولا والخلو من النبات ثم وصفت بعد ذلك بالحياة بالفعل " اهتز " الذي يدل في اللغة على تحريك الشيء وهذا من أساليب التشخيص الذي اتسم به التعبير والتصوير في الآية الكريمة.

وقد ذكر التفسير أن معنى لفظة هامدة في الآية السابقة تعني يابسة كما عبر القرآن عن نفس المعنى الذي أدته كلمة "هامدة" بلفظة أخرى في سياق آخر وهي "خاشعة" وهي اسم فاعل مؤنث أيضا مشتق من الفعل "خشع" مفيدة لمعنى الهمود وهو الخلو من الخضرة، كما يصادف في التفسير محل الدراسة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ (فصلت: ٣٩)، ذليلة يابسة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت " تحركت بانبات وربت انتفخت وعلت"[2].

والشيخ عبد الله سلك مسلك المفسرين في إثبات الترادف بين هاتين اللفظتين كما ورد في مختلف التفاسير، قال صاحب تفسير الوسيط في إثبات هذه الظاهرة بين المفردتين : ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ (الحج: ٥) " أي يابسة يقال همدت الأرض تهمد بضم الميم همودا إذا يبست" . ويقول أيضاً في قوله تعالى:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ (فصلت: ٣٩) "أي يابسة جدبة خشعت الأرض إذا أجدبت لعدم نزول المطر عليها"[3].

وقال ابن عاشور في تفسير مفـــردة في قولـه تعالى:﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ (الحج: ٥) "فهمود الأرض بمنزلة موت الإنسان واهتزازها وإنباتها بعد ذلك يماثل الأحياء بعد الموت، والهمود قريب من الخمود فهمود الأرض جفافها وزوال نبتها وهمود النار خمودها"[4].

١- كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، ج٢، ص ٨٣.
٢- كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، ج٢، ص ٤٥٣.
٣- تفسير الوسيط، بدون سنة الطباعة، ج ٩، ص ٢٨١، وانظر أيضا ج١٢، ص ٣٥٥.
٤- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٧، ص ١٧٢.

وقال أيضاً في تفسيره لمفردة خاشعة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ (فصلت: ٣٩) "والخشوع: التذلل، وهو مستعار لحال الأرض إذا كانت مقحطة لا نبات عليها لأن حالها في تلكالخصاصة كحال المتذلل وهذا من تشبيه المحسوس بالمعقول باعتبار ما يتخيله الناس من مشابهة اختلاف حال القحولة والخصب بحالي التذلل والازدهاء"[١].

وبالتأمل في تفسير الآيتين السابقين كما سبق يتبين لنا وجه التناسق بين اللفظتين، لأن الجو في السياق الأول جو بعث وإحياء وإخراج، مما يتسق معه التصوير بأنها هامدة، ثم تهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج، وأن الجو في السياق الثاني هو جو عبادة وخشوع وسجود، يتسق معه تصوير الأرض بأنها خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ثم لا يزيد على الاهتزاز والارباء هنا الإثبات والإخراج كما زاد هناك لأنه لا محل لها في جو العبادة والخشوع، وبالنظر إلى هذا كله يتبين أنه عند اجتماع لفظة بأخرى دلاليا، تكونان متساويتين ومتشابهتين معنويا، وتكون العلاقة القائمة بينهما علاقة ترادف، فيلحظ من هذا أن الهمود والخشوع يتحدان في المعنى العام، فما هنا إلا سكون أو خمود تعقبه الحركة والحياة.

٤- هلك - تبر - تب :

وقد استخدم القرآن هذه الكلمات بمعنى واحد، وهو المعنى الكسر والهلاك كما ورد في أماكن عديدة في القرآن الكريم، وبالرجوع إلى كتب اللغة نرى أن التبر بفتح التاء تعني الكسر والإهلاك كالتتبير فيهما والفعل : كضرب و كسحاب والمتبور: الهالك[٢].

وإلى المعنى ذاته يشير ابن منظور محددا الوضع اللغوي للفظ "تبر" فيقول... والتَّبَار الهلاك وتَبَّرَه تتبيرا أَي كسره وأَهلكه وهؤلاء متبر ما هم فيه أَي مكسر مهلك، وفي التنزيل العزيز: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً﴾ (نوح: ٢٨).

١- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٢٤، ص ٣٠٢.
٢- القاموس المحيط، ص ٣٥٣.

قال الزجاج[1] معناه إلا هلاكاً ولذلك سمي كل مكسر تِبْرا وقال في قوله عز وجل: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ (الفرقان: ٣٩)، قال التتبير التدمير وكل شيء كسرته وفَتَتَّه فقد تبرته[2].

وبهذا الشرح أكد ابن منظور ما نص عليه الفيروز آبادي في محيطه من أن الأصل اللغوي للفظ تبر يعني هلك وكسر.

وبالرجوع إلى محل الدراسة نرى أن صاحب التفسير قد استخدم لفظ تبر بمعنى هلك في مختلف مواضعها منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٩).

قال صاحب التفسير: "إن هؤلاء القوم متبر مهلك ما هم فيه" يهدم الله دينهم ويكسر أصنامهم"[3].

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (نوح: ٢٨)، "هلاكا"[4].

والمفسرون ذهبوا إلى إثبات الترادف كما أشاروا إلى ذلك في بيانهم للفظ "تبر" في مختلف تفاسيرهم، وهنا نذكر بعضا من أقوال المفسرين حول هذين اللفظين، وقال ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٩) "والمتبر المدمر والتبار بفتح التاء الهلاك، ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (نوح: ٢٨)، يقال تبر الشيء كضرب وتعب وقتل وتبره تضعيف للتعدية أي أهلكه والتتبير مستعار هنا لفساد الحالفيبقى اسم المفعول على حقيقته في أنه وصفا للموصوف به في زمن الحال ويجوز أن يكون التتبير مستعار السوء العاقبة شبه حالهم المزخرف ظاهره بحال الشيء البهيج الآيل إلى الدمار والكسر فيكون اسم المفعول مجازا في الاستقبال أي صائر إلى السوء[5].

١- ١١هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، فإنه من أكبر أهل العربية، وكان حسن العقيدة، جميل الطريقة، وصنف مصنفات كثيرة، منها كتاب المعاني في القرآن، وكتاب الفرق بين المؤنث والمذكر، وكتاب فعلت وأفعلت إلى غير ذلك، وتوفي أبو إسحاق الزجاج في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، انظر نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص ٢١٦ .

٢- لسان العرب، ج ٤، ص ٨٨ .

٣- كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، ج١، ص ٤٩٨.

٤- كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، ج٢، ص ٦٨٧.

٥- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٩، ص ٨٢.

وأشار أبو حيان إلى إثبات ظاهرة الترادف بين التبار والهلاك في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٩)، حيث قال: "الإشارة بهؤلاء إلى العاكفين على عبادة الأصنام، ومعنى متبر مهلك مدمر مكسر، وأصله الكسر"(١).

وإلى هذا المعنى ذاته ذهب القرطبي: حيث قال : ﴿إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٩)، أي مهلك والتبار : الهلاك، وكل إناء مكسر متبر وأمر متبر أي : إن العابد والمعبود مهلكان، وقوله : وباطل أي ذاهب مضمحل ما كانوا يعملون"(٢).

وواضح هنا أن صاحب التفسير ذهب إلى وجود الترادف بين هذين اللفظين بإقراره على أن التبار هو الهلاك كما سبق في تفسيره لفظ تبر، وبهذا المعنى ذهب أكثر المفسرين.

٥- القسم الحلف:

فقد ورد كلمتي الحلف والقسم في مختلف المعاجم اللغوية القديمة والحديثة بمعنى واحد، مما يدل على وجود الترادف بين هذين اللفظين .

وقال ابن منظور: "والقسم بالتحريك اليمين، وكذلك المُقسم وهو المصدر مثل المخرج والجمع أقسام وقد أقسم بالله واستقسمه به وقاسمه حلف له وتقاسم القوم تحالفوا وفي التنزيل قالوا تقاسموا بالله وأَقْسَمْت حلفت وأَصله من القَسامة"(٣).

وقد أشار إلى هذا المعنى الفيروز آبادي حيث قال: "والقسم محركة وكمكرم: اليمين بالله تعالى، وقد أقسم وموضعه : مقسم كمكرم واستقسمه وبه وتقاسما تحالفا"(٤).

ونقل في المعجم الوسيط: " أقسم إقساما ومقسما حلف،ويقال: أقسم بالله حلف به فهو مقسم"(٥). وأما بالنسبة للفظ الحلف لغويا فإن اللغويين استخدم هذا

١- تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣ه/١٩٩٣م، ج٤، ص ٣٧٧.
٢- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،ج ٩، ص ٣١٨.
٣- لسان العرب، ابن منظور، ج١٢، ص ٤٧٨.
٤- القاموس المحيط، ص ١١٩٤.
٥- المعجم الوسيط، ص ٧٦٩.

اللفظ بدلالة القسم مما يدل على الترادف بين هاتين المفردتين .

قال الأزهري في تهذيب اللغة: " الحلف والحلف لغتان وهو القسم والواحدة حلفة، قال ويقال: محلوفةً بالله ما قال ذاك، ينصبون على ضمير أحلفُ بالله محلوفة اى قسماً والمحلوفة القسم[١].

وقال امرؤ القيس:

حلفتُ لها باللّٰه حلفة فاجرٍ •• لناموا فما إن من حديث ولا صالِ[٢]

وإلى هذا المعنى ذاته أشار الفيروز حيث قال: " حلف يحلف حلفا ويكسر وحلفا ككتف ومحلوفا ومحلوفة ويقال: لا ومحلوفائه بالمد ومحلوفة بالله أي : أحلف محلوفة أي قسماً[٣].

وبالرجوع إلى التفسير نرى أن صاحب التفسير أقر بوجود الترادف بين لفظتي القسم والحلف حيث قال في بيانه لقوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٢١)، " وقاسمهما"، "حلف لهما بالله" إني لكما لمن الناصحين"[٤].

وقد وردت هذه اللفظة بهذه الصيغة في قوله تعالى : ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (النمل: ٤٩)، " وذكر صاحب التفسير في معنى هذه الآية : "قالوا" بيان للفساد أي قال بعضهم لبعض "تقاسموا بالله" احلفوا بالله لنبيتنه وأهله " لنباغتن صالحا وأهله ليلا بالقتل انتهازا للفرصة " ثم لنقولن لوليه"ولي دمه" ما شهدنا" ما حضرنا "مهلك أهله" أي نقسم على عدم حضورنا ذلك فضلا عن المباشرة "و"نحلف إنا لصدقون"[٥].

وبالنظر إلى هذا التفسير يتبين لنا أن القسم قد أفادت معنى الحلف كما عبر القرآن عن هذا المعنى في عدة مواضع، وإذا نظرنا إلى بعض المفسرين نرى أنهم لم يخرج من هذا الإطار لأنهم استخدموا هاتين اللفظتين بدلالة واحدة كما عبر ذلك ابن عاشور في تفسيره حيث قال: "وقاسمهما" أي حلف لهما بما يوهم

١- تهذيب اللغة، ج ٢، ص ١١٩.
٢- ديوان امرؤ القيس، تحقيق دكتور درويش الجويدي، ص ٢٥٤.
٣- القاموس المحيط، ص ٨١٢.
٤- كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، ج ١، ص ٤٧١.
٥- كفاية ضعفاء السودان، في بيان تفسير القرآن، ج١، ص ٢١٩.

صدقه، والمقاسمة مفاعلة من أقسم إذا حلف حذفت منه الهمزة عند صوغ المفاعلة كما حذفت في المكارمة والمفاعلة هنا للمبالغة في الفعل، وليست لحصول الفعل من الجانبين ونظيرها: عافاه الله وجعله في الكشاف : كأنهما قالا له تقسم بالله إنك لمن الناصحين، فأقسم فجعل طلبهما القسم بمنزلة القسم أي فتكون المفاعلة على بابها، وتأكيد إخباره عن نفسه بالنصح لهما بثلاث مؤكدات دليل على مبلغ شك آدم وزوجه في نصحه لهما، وما رأى عليهما من مخائل التردد في صدقه، وإنما شكا في نصحه لأنهما وجدا ما يأمرهما مخالفا لما أمرهما الله الذي يعلمان إرادته بهما الخير علما حاصلا بالفطرة"[1].

وقال الصابوني في تفسيره لهذه الآية : ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِي لَكُمَا لَمِنَ النَاصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٢١)، أي حلف لهما بالله على ذلك حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله قال الألوسي : إنما عبر بصيغة المفاعلة للمبالغة لأن من يباري أحدا في فعل يجد فيه"[2].

وبالتأمل يدرك أن المفسرين ذهبوا وأقروا على وجود الترادف بين لفظتي: (القسم الحلف) وهذه دلالة واضحة على وجود الترادف في القرآن الكريم، وكما سبق أن صاحب التفسير أشار إلى استعمال لفظتي القسم والحلف بدلالة واحدة وهذا بإقراره أن القسم هو الحلف.

فالاستعمال القرآني لهاتين المفردتين للدلالة على معنى متحد، وهذا مما يبرهن على تفطن الشيخ عبدالله بهذه الظاهرة اللغوية التي تعد خصيصة من خصائص اللغة العربية والكتاب العزيز.

٦- آثر - فضَّل:

وقد وردت لفظة آثر بدلالة فضل في مختلف المعاجم اللغوية كما ورد ذلك في القرآن الكريم، وفي المعجم الوسيط أن لفظ أثر أو اثر يعني فضل ونقل في هذا المعجم آثر عليه أثرا وآثره وأثرة وأثرى : فضل نفسه عليه في النصيب فهو أثر وأن يفعل كذا فضل وعلى الأمر : عزم وآثره : إيثاراً : اختاره وفضله ويقال: اثره على

١- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٨، ص ٢٧٦.
٢- صفوة التفاسير، الصابوني، دار الصابوني، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧ه/ ١٩٩٧م، ج ١، ص ٤٠٧.

نفسه، والشيء بالشيء خصه به"[1].

وبالرجوع إلى استعمال لفظتي آثر وفضل في هذا التفسير يجد المتأمل أن صاحب التفسير تناول لفظ آثر ودل على أنه بدلالة واحدة بمعنى فضل وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (يوسف: ٩١) .

حيث قال : ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ﴾ (يوسف: ٩١) فضلك علينا بحسن الصورة والسيرة ومحاسن الأخلاق والملك وأحوجنا إليك وإن أي إذا "كنا لخاطئين" آثمين في أمرك"[2].

ويتضح هنا أن المفسر قد أقر هنا أن لفظ آثر يعني فضل لأن الله سبحانه وتعالى فضل يوسف عليه السلام على سائر إخوته بالصبر والعلم والملك وحسن الصورة ومحاسن الأخلاق.

والمفسرون ذهبوا على هذا المعنى في مختلف تفاسيرهم كما ورد ذلك في زاد المسير في علم التفسير حيث ان أبو الفرج في تفسيره لهذه الآية : ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ (يوسف: ٩١)، أي اختارك وفضلك، أي فضله بالملك والصبر والحلم والصفح والعلم والعقل والحسن وسائر الفضائل التي أعطاه"[3].

وذكر الصابوني في تفسيره: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ (يوسف: ٩١) اعتراف بالخطيئة وإقرار بالذنب أي والله لقد فضلك الله علينا بالتقوى والصبر والعلم والحلم"[4].

ويقول ابن عاشور في تعريفه لفظ " آثر"، " والإيثار التفضيل بالعطاء، وصيغة اليمين مستعملة في لازم الفائدة، وهي علمهم ويقينهم بأن ماله هو تفضيل من الله، وأنهم عرفوا مرتبته"[5].

ومما سبق يدرك أن لفظتي "آثر فضل" يدوران في فلك دلالة مركزية واحدة، هي الإيثار والتفضيل، ويدرك كذلك أنهما يكاد ينتبهان في الآيتين النموذجتين على هذه الدلالة، فلا ينبغي أن يغفل عدم صلاحيتهما للتبادل فيما بينهما في كل سياق وردتا في القرآن الكريم أو في اللغة العربية.

١- المعجم الوسيط، ص ٢٥، المرجع السابق.
٢- كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن، ج١، ص ٦٨١، المرجع السابق.
٣- زاد المسير في علم التفسير، الجوزي، ج ٤، ص ٢٨٢.
٤- صفوة التفاسير، الصابوني، ج٢، ٥٩ .
٥- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٣، ص ٥٠ .

وبعد هذا العرض لآراء اللغويين والمفسرين، وملاحظات الترادف في تفسير كفاية ضعفاء السودان، يدرك أن منهج الشيخ عبد الله بن فودي هو العرض دون التصريح بأنها من الترادف المطلق، وهو في ذلك على وعي تام بأنها من الألفاظ المترادفة، وهذا يدخل القارئ لهذا التفسير في إطار الترادف المطلق.

الخاتمة

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

في خاتمة هذا البحث أشير بإيجاز إلى أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في النقاط الآتية:

١/ يعد الترادف من الظواهر اللغوية المهمة التي عنى به اللغويون القدامى والمحدثون.

٢/ إن منهج المفسرين حول الترادف هو العرض دون التصريح بأنها من الترادف المطلق وهم في ذلك على وعي تام بأنها من الألفاظ المترادفة .

٣/ إن اللغويين القدامى والمحدثين اختلفوا حول الترادف بيد أن المحدثين من علماء اللغات يجمعون على إمكان وقوع الترادف في أي لغة من لغات البشر، ولكنهم يشترطون شروطاً معينة لا بد من تحققها حتى يمكن أن يقال إن بين الكلمتين ترادفاً.

التوصيات

١- دعوة طلاب اللغة والباحثين بالرجوع إلى القرآن الكريم وتفسيره واتخاذهما وسيلة في الجوانب اللغوية والأدبية.

٢- توصية المختصصين والنابغين في فنون العلوم اللغوية والأدبية أن يرجعوا إلى القرآن الكريم لأنهم سيجدون ضالتهم السمينة في هذا الكتاب الذي فاق الكتب السماوية قدرا وإعجازا بلاغة وبيانا.

وآخر دعوانا عن الحمد لله رب العلمين،،،

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الجامع لأحكام القرآن الكريم لابن عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ ١٢٧٣م. الناشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- الكشاف عن تحقيق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية، الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، الطبعة الثالثة، دار المعارف، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، بدون سنة الطباعة والمطبعة.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الإمام العلامة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، من لغوي القرن الرابع الهجري، علق عليه ووضح حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، شركة القدس للنشر والتوزيع سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- المعجم الوسيط: مجمع العربية الطبعة الرابعة،مكتبة الشروق الدولية، سنة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

- الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فودي الفلاني، لآدم عبد الله الألوري، الطبعة الثانية : ١٣٢٨هـ/ ١٩٧٨م.
- دراسات في فقه اللغة تأليف الدكتور صبحي الصالح أستاذ فقه اللغة والإسلاميات في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية دار العلم للملايين ص.ب: ١٠٨٥ بيروت الطبعة الأولى ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م. الطبعة السادسة عشرة أيار مايو ٢٠٠٤.
- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، مكتبة مصطفى البابي، الطبعة الأولى سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.
- تفسير ضياء التأويل في معاني التنزيل، للشيخ العلامة أبي محمدعبد الله بن محمد بن بفودي رحمه الله، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.
- تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي المتوفي سنة ٧٤٥هـ دار الكتب العلمية بيرون لبنان الطبعة الأولى١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- تفسير التحرير والتنوير، الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التونسية، تونس، بدون سنة الطباعة.
- تهذيب اللغة، الأزهري، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني .
- صفوة التفاسير تفسير للقرآن الكريم، الشيخ محمد علي الصابوني،دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- علم الدلالة، الدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الخامسة سنة ١٩٩٨م.
- فصول في فقه اللغة العربية، الدكتور رمضان عبد التواب، الطبعة السادسة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- فقه اللغة مناهله ومسائله تأليف الدكتور محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية سيدا بيروت، سنة ٢٠١٢م. ١٤٣٣هـ.

- في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس أستاذ بكلية دار العلوم القاهرة وعضو مجمع اللغة العربية سابقا، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة. الطبعة الثالثة. ٢٠٠٢م.
- كفاية ضعقاء السودان في بيان تفسير القرآن، للشيخ عبد الله بن فودي المتوفى ١٢٤٥هـ تحقيق ودراسة الدكتور ثاني موسى أياغي والدكتور حامد إبراهيم حامد، الناشر دار الأمة لوكالة المطبوعات كانو نيجيريا .
- لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور ٩٣٠-٧١١هـ المكتبة التوفيقية القاهرة مصر.
- زاد المسير في علم التفسير، الإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.